[364] دخل ما أحسه ولا ينفعني، ذهبت قوه رجلي فكأنهما قربتا ماء لاأطيق حملهما، ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني، هلك أولادي (1) ولو بقي أحد منهم أعانني على بلائي ونفعني، وقد ملني أهلي، وعقني أرحامي، وتنكرت معارفي، ورغب عني صديقي، وقطعني أصحابي، وجحدت حقوقي، ونسيت صنائعي، أصرخ فلا يصرخونني، وأعتذر فلا يعذرونني، دعوت غلامي فلم يجبني، وتضرعت لامتي فلم ترحمني، وإن قضاءك هو الذي أذلني وأقمأني، (2) وإن سلطانك هو الذي أسقمني وانحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بمكان ينبغي (3) للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني (4) فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إلي فرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببرأتي وأخاصم عن نفسي. فلما قال ذلك أيوب عليه السلام وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي: يا أيوب إن ا عزوجل يقول لك: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بعذرك، (5) وتكلم ببرأتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزارك، وقم مقام جبار فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزيار (6) في فم الاسد، والسحال في فم العنقاء، واللجام في فم التنين، (7) ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرة من الشمس، ويرد أمس، لقد منتك نفسك أمرا ما تبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك ذلك ودعتك إليه تذكرت أي مرام

_____ (1) في المصدر: الهى هلك أولادي. (2) " ": أذلني وادنانى وأهانني وأقامنى. (3) " ": ولو كان ينبغى للعبد. (4) " ": وتخلى عنى. (5) أي احضره واحتج به. (6) في المصدر: الامن يجعل الزمام في فم الاسد. قلت: الزيأر: خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس أي شفتيه فيذل فيتمكن من بيطرته. والسحال: اللجام. (7) التنين كسكين: حية عظيمة. _____